PAPER DETAILS

TITLE: ????? ???????? ??? ???????

AUTHORS: Turkiy ALALI

PAGES: 59-71

ORIGINAL PDF URL: https://dergipark.org.tr/tr/download/article-file/2424736

Sayı-Issue: 2 (Özel Sayı)
Cilt-Volume: 4
Eylül-September 2022◆Yıl:4

مفهوم الإيـجاز عند الرّمانـيّ

The concept of brevity according to Al-Ramani

Rummânî'ye Göre Îcâz Kavramı

Turkiy ALALİ

Yıldırım Beyazıt Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Doktora Öğrencisi

try198571@gmail.com
ORCID: 0000-0002-8287-5251

Araştırma Makalesi/Research Article

DOI: 10.56671/hafizadergisi.1115894

Sayfa: *59-71*

Makale Gönderim Tarihi	***Makale Kabul Tarihi***
12/05/2022	*22/07/2022*

ملخص البحث

اهتمَّ علماءُ اللّغة العربية بدراسة البلاغة التي شغلت عندهم حيّزاً واسعاً؛ لكونها متعلقةً بفهم القرآن العظيم، ولازالت تنمو شيئاً فشيئاً حتّى أينعت ثمارُها، وأزهتْ أغصانُها، وهي كغيرها من العلوم مرّتْ بمراحل وتصانيف عديدةٍ أدّتْ في النهاية إلى تكاملِها، ومن أهمّ هذه التّصانيف الدّراسات التي تعلقت بإعجاز القرآن العظيم، سعياً من علماءها لكشف سرّ إعجازه. وكان من أبرزهم أبو الحسن الرّمانيّ المعتزليّ، الذي كتب رسالةً صغيرةً لكنها تركت أثراً كبيراً على من جاء بعده، فقد حصر أسبابَ الإعجاز في سبعة أبواب، واستفتحها بالكلام عن البلاغة، وأفرغ جُلّ رسالته فيها، وأسبغ عليها تقسيمات وتفريعات، استقى منه البلاغيون بعده، ومن أبرز ما تكلم فيه: الإيجاز حيث أضفى عليه تعاريف، وفصول، وشواهد ولمسات بيانية حتى بلّغ مرحلة النضوج البلاغي.

ويتناول هذا البحث إشكالية الإيجاز عند البلاغيين من خلال جهود الرّمانيّ في هذه الجزئية البلاغية؛ لأهميتها وكثرتها في كلام العرب من جهة، ولمكانة الرّمانيّ العلميّة من جهة أخرى، ويهدف البحث إلى معرفة ما أحدثه الرّمانيّ في الإيجاز من مصطلحاتٍ، وحدودٍ، وتقسيماتٍ، وأثرها على البلاغيين بعده، ويعتمد البحث على المنهج الوصفيّ التّحليليّ الذي يقوم على وصف الظاهرة ثم تحليلها للوصول إلى النتائج المطلوبة.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، البلاغة، إعجاز القرآن، الرّمانيّ، الإيجاز.

Öz

Arap dili bilginleri, Kuran'ı Kerim'in anlaşılmasında önemli bir rolü olması sebebiyle Arap dlinde geniş bir alan teşkil eden belagat çalışmalarına büyük önem göstermişlerdir. Bu ilim günümüze kadar gitgide büyümüş ve meyvelerini vermiştir. Diğer ilimler gibi bu ilim de birkaç aşamadan geçmiş ve birçok eserin yazılması ile tekâmüle ermiştir. Bu eserlerin en önemli olanları, belagat âlimlerinin de icâzındaki sırrı açıklamak için çaba sarf ettikleri, Kur'ân'ı Kerim'in icâzı ile alakalı çalışmalardır. Bu meyandaki alimler arasında en önde gelen kişi, Kurân'ın icâzı hakkında küçük bir risâle yazan ancak kendisinden sonra gelenler üzerinde büyük bir etki bırakan Ebü'l-Hasan er-Rummânî el-Mu'tezilî (ö. 384/994) olmuştur. Rummânî bu risâlesinde, iʿcâz sebeplerini yedi bâbta toplamaya çalışmış ve eserine ilk olarak belâgat hakında bilgi vererek başlamıştır. Risâlesinin büyük kısmını belâgat konusuna ayırmış, kısımlarını ve dallarını eksiksiz bir şekilde zikretmiştir. Kendisnden sonra gelen belâgat alimlerine ilham kaynağı olnuştur. Rummânî, risâlesinde belirgin bir şekilde "îcâz" konusunu; tanımlar, bölümler, deliller ve yeterli açıklamalar ile donatarak retorik olgunluğa ulaştırmıştır.

Bu araştırma, Rummânî'nin çalışmaları aracılığı ile bir yönden Arap kelamındaki yaygın kullanışı ve önemi, diğer yönden ise Rummânî'nin ilmî saygınlığı gibi iki ana unsura binaen, belâgatçılar nezdinde "îcâz" problemini ele almaktadır. Araştırma, Rummânî'nin îcâz konusunda terimleri, tanımları ve kısımları açısından getirmiş olduğu yenilikleri; ayrıca daha sonraki belâgat alimlerinin üzerindeki etkilerini açıklamayı hedeflemektedir. Araştırmada analitik, betimsel ve tahlil yöntemleri kullanılmıştır.

Anahtar Kelimeler: Arap dili, Belâgat, Kur'ân iʿcâzı, er-Rummânî, Îcâz

Abstract

Scholars of the Arabic language were interested in the study of rhetoric, which occupied a wide space for them, because it is related to the understanding of the Great Quran. And it is still growing little by little until it bears fruit. Before this period, it went through many classifications that eventually led to its integrality. Among the most important of these classifications are the studies related to the great miracle of the Quran, as their compilers tried to find out the secret of its miraculous Ness. Among the most prominent of them is Abu al-Hasan al-Ramani al-Mutazili, who wrote a small letter, but it left a great impact on those who came after him. He tried to limit the reasons for the miraculousness in seven chapters, and opened them by talking about rhetoric, and emptied most of his message in them, and bestowed upon them divisions and ramifications, from which the rhetoricians drew after him. Rhetorical.

This research deals with the problem of brevity among the rhetoric through the efforts of Al-Ramani in this rhetorical part; Because of its importance and abundance in the speech of the Arabs on the one hand, and Al-Rumani's position on the other hand ,The research aims to know what Al-Rumani made in the brief

of terms, limits, and divisions, and their impact on the rhetoricians after him.The research depends on the descriptive-analytical approach, which is based on describing the phenomenon and then analyzing it to reach the desired results.

Keywords: Arabic language, rhetoric, the Quran miracle, Al-Ramani, brevity.

Giriş

مدخل

نشأت اللغة العربية بين أطلال ورسوم الجزيرة العربية، بعيداً عن مراكز الحضارات وأهلها، فصقلتها ألسنة الشّعراء والخطباء على مرّ السّنين والعصور، وتكاملت هذه النشأة في نهاية القرن الخامس الميلادي، ويظهر هذا جلياً في الشعر الجاهلي حيث سادت اللغة العربية الفصحى على الوسط الأدبي وتوحدت ألسنتهم على اختلاف قبائلهم في تلك الفترة الزمنية[1]. وزادت عناية العرب بلغتهم فأقاموا لها النّوادي والأسواق؛ وضربوا لها قباب الأدب، وأجزلوا لحكامها العطاء، ومن أبرز الأسواق اللّغوية الّتي اهتمت بالفصل بين البلغاء سوق عكاظ في مكةَ، حيثُ كان يفِد إليها العرب لأداء فريضة الحج والتجارة، ويتخلل هذه المناسبات مسابقات أدبيّة ساهمت مع مرور السنين على إنماء مفردات اللغة، فانتقى الناس أفصحها وأعذبها [2].

ولقد أشار القرآن الكريم إلى فصاحة العرب في غير موضع، ومنها قوله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}[3] وقد ذكر القرآن أن العرب كانوا أصحاب جدل ومخاصمة، وقوة بالحجج والمناظرة كما في قوله تعالى {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ}[4]. وهذه دلالة واضحة على أنّ العرب كانوا على درجة عالية من البلاغة والبيان قُبيل البعثة، فجاء القرآن الكريم متحدياً لهم في ألسنتهم وفصاحتهم. فلمّا شرعت طلائعُ الذّكر الحكيم بالنزول على قلوب أُناس ألفوا بيان اللغة وبديعها، ومعاني المفردات وتراكيبها، فخالطت آياتُه شغاف قلوبهم، وامتزجت بصائرهم بحروفه؛ انقادوا له مُذعنين بين طائع وكاره؛ فازداد مؤمنهم نوراً على نور، ووقف كافرهم حائراً عاجزاً على أن يعارضه ولو بآية؛ فلم تغنِ عنهم بلاغتهم شيئا.

ولقد أحسن الوليد بن المغيرة القول قبل أن ينكس على عقبيه؛ كما في القصة المشهورة بعد أن سمع القرآن من الرسول –عليه الصلاة والسلام– رقَّ قلبه وتأثر به، فسمع أبو جهل بأمره فخاطبه متهكماً، وأخبره أن قومه سيجمعون له مالاً؛ ليعطوه إياه ليترك ما قال محمد، وكانت غاية أبي جهل هي إثارة الجاهلية في قلب الوليد لمكانته بين قومه؛ وهذا ما حصل فاستنكر الوليد قوله، ولا زال أبو جهل يراجعه حتى قال مقالته المشهورة " والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار منّي، ولا أعلم برجزٍ ولا بقصيدةٍ ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا " ثم قال " والله إنّ لقوله حلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنّه ليعلو وما يُعلى، وإنه ليحطم ما تحته"[5] لكن حمية الجاهلية حملته على الضلالة بعد أن عرف الحق؛ فأنزل الله فيه آيات تتلى إلى قيام السّاعة.

وليست هي شهادة بتراءَ من أعداء الإسلام، فقد أُثِرَ عن عتبة بن ربيعة قولٌ قريبٌ جداً من قول ابن المغيرة؛ عندما استمع للقرآن الكريم، ثم قال ووصف ما سمع بأنه لا مثيل له، فلا هو شعر، ولا سحر ولا كهانة، ثم أوصى قريش باتباع هذا القول حتى قال كلمته المشهورة "فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعتُ نبأٌ"[6] وما هذا إلّا الشّيء اليسير من تأثر المشّركين بالذّكر الحكيم، حتّى قالوا وتواصوا فيما بينهم على عدم السّماع له؛ خوفاً من الإيمان به. وفي ذلك حكى الله عنهم {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ}[7].

ولعل بلاغة القرآن وما حملت من إعجاز لأهل الفصاحة؛ حركة هواجس المعرفة عند الكثير من علماء المسلمين للوقف على هذا السّر العظيم، وزادت هذه المحاولات شيئاً فشيئاً، ولاسيما مع بداية حركة الترجمة في العصر العباسي، وتأثر البعض بفلاسفة اليونان والهند، ومن جهة أخرى ظهر الإلحاد والطعن في كتاب الله، ولم يكن كطعن

---

[1] شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي*، (مصر: دار المعارف،1960-1995م)،120/1.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي،50/1.

[3] سورة الرحمن،55/1-4.

[4] سورة الزخرف،58/43

[5] الحاكم: محمد بن عبد الله ابن البيّع (ت: 405هـ)، *المستدرك على الصّحيحين*، تحق. مصطفى عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية1411هـ – 1990م)،550/4.

[6] أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، *الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث*
تحق. أحمد عصام الكاتب، (بيروت: دار– الآفاق الجديدة، 1401هـ)،267.

[7] فصلت،26/41.

المشّركين بل من خلال محاولة إثارة الشّبهات والشّكوك حوله؛ الأمر الذي دفع الكثير من العلماء على الرّد عليهم، من خلال الغوص بين ثنايا حروف الذّكر الحكيم؛ لكشف أسراره التي أعجزت الصدر الأول؛ وأحرجت مَن تغنى بالفصاحة والبيان قبل نزوله[8].

فكُتب في ذلك التّصانيف كثيرة العديد، كمجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (209هـ)، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدينوري (276هـ) الذي أفرد باباً في الرد على الطّاعنين وفنّد شبهاتهم وكشف عُوارهم.[9] ولكنّنا وبصدد الكلام على إعجاز القرآن العظيم نسوق أبرز المصنفات في ذلك بعُجالة إلى بداية القرن الخامس الهجري.

تشير المصادر إلى أن الجاحظ (255هـ) من أوائل الذين ألّفوا في علم البلاغة من خلال كتابيه البيان والتبين، والحيوان، كما له كتاب سماه النظم –ومن اسمه– حاول فيه الجاحظ كشف سر الإعجاز في القرآن لكنّ هذا الكتاب فُقِد ولم يصل إلينا.[10] ثم تلاه كتاب إعجاز القرآن لمحمد بن يزيد الواسطي (306هـ)، وجاء بعدهما الرّمانيّ (386هـ) صاحب رسالة " النكت في إعجاز القرآن "، وممن كان معاصراً له أحمد بن محمد الخَطّابي (388هـ) الذي وضع رسالة في بيان إعجاز القرآن في محاولة منه الرّد على المعتزلة من جهة والطاعنين في أُسلوب القرآن الكريم من جهة أخرى.[11] ثم جاء الباقلانيّ الأشعريّ (403هـ) الذي صنف كتاباً متكاملاً حول سرّ الإعجاز وسماه: " إعجاز القرآن"، وممن سلك هذا الطريق أيضاً القاضي عبد الجبار المعتزليّ (415هـ) فقد أفرد جزءاً من كتابه "المغني في أبواب التوحيد والعدل"، وأطنب في الكلام حول إعجاز القرآن، وفصّل الكلام وأطال فيه وحاول أن يكشف سر الإعجاز، إلى أن وصل إلى نقطة استفاد منها عبد القاهر الجرجانيّ بعده في دلائل الإعجاز[12]. والكتب في هذا المضمار كثيرة مع اختلاف مشارب أصحابها.

وفي هذا السّطور نقف وقفة مع أحد أركان هذه التصانيف، وهو أبو الحسن الرّمانيّ، ومع رسالته التي حاول فيها كشف أسرار الإعجاز في القرآن؛ ولعل **السبب** الأبرز لاختيار هذه الرسالة في هذه الدراسة أنّ صاحبها كان من كبار المتكلمين في زمانه، ويمثل تيّار المعتزلة الذين عنوا بإعجاز القرآن، والبحث في سره كالنظام والجاحظ وغيرهما، إلى زمان الرماني الذي ورث إرثاً علمياً ضخماً وظّفه في رسالته، ولا سيما في كلامه على الإيجاز، حيث استطاع أن يستكمل تقسيماته، وفصوله، ويناقشها مناقشة علمية، واستدل لذلك من النثر والنظم حتى غدا ناضجا في زمانه، واستقى منه من جاء بعده.

الرُّمانيّ

هو علي بن عيسى أبو الحسن الرّمانيّ، نحويّ معتزليّ، فيه شيء من التّشيع، أخذ عن ابن دريد، والزجاج، وجماعة من أعيان عصره، وأخذ عنه الجوهري، وأبو القاسم التنوخي، وطائفة، له تصانيف كثيرة في اللغة، والتفسير، والصرف، بلغت قرابة مئة مصنف، أبرزها: شرح كتاب سيبويه، والجمل، كما ألّف في الاعتزال صنعة الاستدلال، والأسماء والصفات، والمعلوم والمجهول، وغير ذلك.[13] و**رسالته** التي تكلم فيها عن إعجاز القرآن الكريم، وقد ذكر السبب في تأليفها: وهو جواب لسائل سأله عن وضع مصنفاً يسرد فيها النكت التي جعلت القرآن معجزاً، من دون تطويل أو الإكثار من الشواهد، فستجاب الرماني لسائله فاجتهد في وضع هذه الرسالة.[14] لكن لعلّ هذا سببٌ من الأسباب، بالإضافة إلى أن الفترة التي عاش فيها الرّمانيّ كانت تشهد حركة متسارعة في التّصنيف البياني للقرآن الكريم؛ سعياً من العلماء لكشف سرّ إعجازه، الذي جعله الله تحدّيا للعرب على أن يأتوا بمثله وهم أهل الفصاحة والبيان.

رسالته في الإعجاز

شرع الرّمانيّ في بداية **رسالته** –المسومة بـ "**النكت في إعجاز القرآن**"– بذكر الأوجه التي يظهر بها الإعجاز في القرآن الكريم وحصرها في سبعة أوجه. وهي: البلاغة، والصّرفة، والتحدي لكل من يريد معارضته، وترك المعارضة له مع توفر الأسباب وشدة الحاجة لها، وتضمنه على الأخبار الصادقة حول الأمور المستقبلية، وقياسه مع كل معجز،

---

[8] شوقي ضيف، *البلاغة تطور وتاريخ*، ط12، (القاهرة: دار–المعارف)،19–30.

[9] عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، *تأويل مشكل القرآن* تحق. إبراهيم شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية)،24.

[10] مصطفى صادق الرافعي (ت: 1356هـ)، *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*، ط8، (بيروت: دار الكتاب العربي 1425 هـ - 2005 م)،106.

[11] شوقي ضيف، *البلاغة تطور وتاريخ*،103.

[12] شوقي ضيف، *البلاغة تطور وتاريخ*،114–117.

[13] محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ)، *سير أعلام النبلاء*، تحق. مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ط3، (بيروت: مؤسسة الرسالة 1405 هـ)، 534/1.

[14] علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت: 384هـ)، *النكت في إعجاز القرآن*، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحق. محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، ط3، (مصر: دار المعارف،1976)،75.

ونقضه للعادة.[15] والجدير بالذّكر أنّ هذه الأوجه السبعة غير متفق عليها بين علماء البيان، وبعد هذا التقسيم بدأ الكلام عنِ البلاغة التي استغرقت معظم رسالته، ثم عاد في النهاية وبيّن الأوجه الستة الأخرى.[16] ومدار هذا البحث على الإيجاز، وقبل الدخول فيه لا بدّ من بيان وجهة نظر المصنف في البلاغة.

عرّف الرّمانيّ **البلاغة** بأنها: القدرة على إيصال المعنى الحسن إلى قلب السامع بصورة لفظية جميلة[17]، ثم قسّمها إلى ثلاث طبقات: عُليا، ووسطى، ودنيا. فالعليا وهي أكملها حُسْنا، وجمالا، وتختص ببلاغة القرآن العظيم، وهي معجزة لسامعه سواءً كان عربيّاً، أو أعجميّاً. والطبقتان الثّانية والثّلاثة هي بلاغة البلغاء من بني البشر على خلاف مستواهم وقدراتهم، وقد يكون في كلام البشر إعجازٌ ولكنّه نسبيّ، كإعجاز الشّاعر الّذي أفحم خصمه؛ فهذا معجز لبعض النّاس دون غيرهم، أما القرآن فهو معجز لكافة النّاس.[18] ثم قسم البلاغة إلى عشرة أقسام وهي: الإيجاز، وحسن البيان، والمبالغة، والتّضمين، والتّصريف، والتّجانس، والتّلاؤم، والفواصل، والاستعارة.[19] فهذه تقسيمات البلاغة عند الرّمانيّ ثم شرع في بيان كل قسم منها، فبدأ بتعريفه ثم ذكر ضروبه وتفصيلاته، ثم مثّل له من آيات الذّكر الحكيم.

ويدرس هذا البحث **مفهوم الإيجاز** الذي هو جزء من البلاغة بغض النّظر عن بقية الأجزاء الأخرى؛ إذِ الغرض من البحث بيان جهود الرّمانيّ وأثره في البلاغة من خلال دراسته للإيجاز، وكيف سلك في تعريفه، وتقسيماته، وما هو الأثر الذي تركه على العلماء بعده.

الإيجاز

الإيجاز في اللغة: من وَجُزَ الكلامُ وَجازَةً ووَجْزاً وأَوْجَزَ إذا قَلَّ الكلام مع بلاغته[20]. وهو ليس بمعنى الاختصار فبين المصطلحين فرق دقيق؛ فالاختصار يكون لكلام سابق، أمّا الإيجاز فهو لكلام آنف بحيث ينتقي المتكلم كلمات قليلة اللفظ مع معانٍ كثيرة[21]. أمّا في **الاصطلاح** فقد بسط القول في ذلك الجاحظ في كتابه " البيان والتبين " عند كلامه عن مفهوم البلاغة، فذكر قولاً لمعاوية بن أبي سفيان أنّه سأل أحدهم عن البلاغة. فقال: هي الإيجاز[22]. فقال له ما الإيجاز؟ فقال:" أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ "[23]. فكان الإيجاز مرادفاً لكلمة البلاغة، ثم تطور شيئاً فشيئاً في بداية العصر العباسي، فقد سُئل المفَضَّل الضّبي (168هـ) عن الإيجاز. فقال: هو " حذف الفضول وتقريب البعيد "[24]. والإيجاز لا يعني قلة الحروف في الكلام فقد يحتاج الموضوع لكثير من الكلام لكنّه يعتبر إيجازاً؛ وإنّما الخطل ما زاد على مقدار حاجة السامع.[25] فلكلّ مقامٍ مقالٍ، وهذا ظاهر في كتاب الله فقد أوجز في مكان وأطال في آخر؛ بغية الإفهام والتوكيد، فلا يكون الإيجاز محموداً في كل موضع.[26] وقد ذكر ابن قتيبة (276هـ) في كتابه " عيون الأخبار " عن أبي جعفر البرمكيّ قاعدة لذلك فقال: "إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيرا، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عيّاً"[27].

والإيجاز في القرآن وكلام العرب كثيرٌ حتّى أفرد له أبو منصور الثعالبي (429هـ) كتاباً خاصاً جمع فيه الكثير من الشواهد على صور الإيجاز، وعلاقتها بالإعجاز سماه " الإعجاز والإيجاز " وقد قسّمه إلى عشرة أبواب تكلّم فيه عن إيجاز القرآن الكريم، ثم إيجاز النبي صلى الله عليه وسلم، ثم الخلفاء، والملوك، والشعراء ممن تميزوا بالبلاغة مع بيان ما في الكلام من إشارات الإعجاز[28]. ومن هذه الشذرات التي تناثرت في بطون كتب الأوائل يمكن أن يُعرَّف الإيجاز بأنه كلام قليل مع معنى كثير من غير أن يؤدي إلى إخلال.

الإيجاز عند الرّمانيّ

بدأ الرّمانيّ رسالته " النُّكت في إعجاز القرآن " بالكلام عن الإيجاز واسترسل في الكلام عنه. وقد عرفه بأنه "تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى"[29]، وهذا الحدُّ جامع لمعنى الإيجاز فقد استطاع أن يضع له حدّاً سبق به سَلفه، وتابعه عليه خلفُه. فالإيجاز عند الرّمانيّ قائم على قلة اللفظ، والمحافظة على تمام المعنى. لكنّه استدرك على هذا التعريف شرطاً مكملاً له وهو إذا كان ذات المعنى يمكن التعبير عنه بألفاظ قليلة وأخرى كثيرة فالقليل إيجاز[30] ومفهوم شرطه أنّ ما خالفه يكون عيّاً كما سيأتي.

---

[15] الرماني، *إعجاز القرآن*، 75.

[16] الرماني، *إعجاز القرآن*، 109-113.

[17] الرماني، *إعجاز القرآن*، 76.

[18] الرماني، *إعجاز القرآن*، 76.

[19] الرماني، *إعجاز القرآن*، 76.

[20] محمد بن مكرم ابن منظور(ت711هـ)، *لسان العرب*، ط3، (بيروت: دار-صادر،1414هـ)،427/5.

[21] أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت: نحو 395هـ)، *الفروق اللغوية*، تحق. محمد إبراهيم سليم، (القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع) ص40.

[22] عمرو بن بحر الجاحظ (ت: 255هـ)، *البيان والتبيين*، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1423هـ)،98/1-99.

[23] عمرو بن بحر أبو عثمان، الجاحظ، *الحيوان*، (بيروت: دار-الكتب العلمية،1424هـ)،62/1.

[24] الجاحظ البيان والتبيين، 98/1-99.

[25] الجاحظ، الحيوان،62/1.

[26] عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت (276هـ)، *أدب الكاتب*، تحق. محمد الدالي، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، 19.

[27] عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت (276هـ)، *عيون الأخبار*، (*دار الكتب العلمية* -بيروت 1418 هـ)، 190/2.

[28] عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: 429هـ)، *الإعجاز والإيجاز*، (القاهرة، مكتبة القرآن)،13-14.

وقسَّم الرّمانيّ الإيجاز إلى قسمين: الأوّل إيجاز الحذف وعرفه بقوله: هو" إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام "[31]، فإيجاز الحذف عنده إسقاط كلمة أو أكثر مع قرينة تدل عليها. وهو إمَّا: حذف **مضاف** مع بقاء المضاف إليه، ومثَّل له[32] بقوله تعالى {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ}[33] أي أهل القرية مع أن هذه الآية جعلها المتأخرون من المجاز المرسل[34]. أو حذف **المفعول به** ومنه قوله تعالى {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى}[35] فقد حُذِف مفعول اتّقى ودلَّ عليه {وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[36]. أو حذف **المبتدأ** ومنه {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ}[37] أي: هذه براءة[38]. أو حذف **الخبر** وبقاء المبتدأ ومنه {طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ}[39] على تقدير "أَمْثَلُ بكم مِنْ غيرِها"[40].

وقد ذكر الرّمانيّ هذه الشّواهد بشيء من الاختصار من غير الإشارة إلى نوع المحذوف، وكأنّه اكتفى بالشّاهد عن ذكر نوعه للاختصار؛ لأنّ كتابه رسالة صغيرة حاول أن يستوعب فيها أمّات المسائل. لكنّ أهل التّفسير أشاروا إلى نوع الحذف، كالفراء في معاني القرآن، والزمخشري في كشّافه، والسَّمين الحلبي في دُرّه، وغيرهم من المتقدّمين والمتأخّرين. ومنهم من ذكر أنواعاً أخرى من المحذوفات لم يذكرها الرّمانيّ كحذف الفعل. وقد ذكر هذا الفراء في كتابه معاني القرآن في قوله تعالى {فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ}[41] أي: وادعوا شركاءكم[42]، ولعل الرّمانيّ اكتفى ببعض الأنواع لداعي الاختصار. ومن الحذف **حذف "لا"** من الكلام، ومنه قوله " يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا "[43] أي: أن **لا** تضلوا –والله أعلم– وأنكر هذا الحذف البصريون.[44] لكن له أدلة من كلام العرب كقول امرئ القيس:

فَقُلْتُ يَمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِداً وَلَوْ قطّعوا رأسِي لدَيكِ وأوْصَالِي[45]

على معنى: لا أبرح. ومن أنواع الحذف التي صرح بها الرّمانيّ حذف **الجواب** وقد قال فيه: إنه أشدّ بلاغة من الذكر وهو كثير في القرآن[46]، وقد مثّل الرّمانيّ لهذا النوع بقوله تعالى " وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا "[47] فيدل السياق على وجود جواب محذوف تقديره حصولهم على النعيم الخالية من التنغيص، والحذف هنا أبلغ من الذّكر وعلل ذلك الرّمانيّ بقوله:" لأن النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان"[48]. ومن حذف الجواب أيضاً قوله تعالى {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى}[49] أي: " لكان هذا القرآن "[50]. ومن حذف الأجوبة في كلام العرب حذف جواب القسم في قول القائل:

جَدَّكَ لَوْ شيْءٌ أتانا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لم نَجِدْ لَكَ مَدْفَعا[51]

---

[29] الرماني، *إعجاز القرآن*،76.

[30] الرماني، *إعجاز القرآن*،76.

[31] الرماني، *إعجاز القرآن*،76.

[32] الرماني، *إعجاز القرآن*،76.

[33] سورة يوسف،82/12.

[34] شوقي ضيف، *البلاغة تاريخ وتطور*،104.

[35] سورة البقرة،189/2.

[36] سورة البقرة،189/2.

[37] سورة التوبة،1/9.

[38] محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت: 538هـ)، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ط3، (بيروت دار الكتاب العربي،1407 هـ)،242/2

[39] سورة محمد،21/47.

[40] السمين الحلبي أحمد بن يوسف، *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*، تحق. أحمد الخراط، (دمشق: دار–القلم)،700/9.

[41] سورة يونس،71/10.

[42] أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: 207هـ)، *معاني القرآن*، تحق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، (مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة)،473/1.

[43] سورة النساء،176/4.

[44] إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ت(311هـ)، *معاني القرآن وإعرابه*، تحق. عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب ،1408هـ)،136/2

[45] امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، (ت: 545 م)، *ديوان امرئ القيس*، تحق. عبد الرحمن المصطاوي، ط2(بيروت: دار المعرفة ،1425)، 137

[46] الرماني، *إعجاز القرآن*،76.

[47] سورة الزمر،73/71.

[48] الرماني، *إعجاز القرآن*،77.

[49] سورة الرعد، 31/13.

[50] الرماني، *إعجاز القرآن*،76. الزمخشري، الكشاف،529/2.

[51] امرؤ القيس، الديوان،126.

أي: لرددناه.[52] ولقد ذُكِر هذا النوع في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ}[53] جوابه محذف تقديره: لتبعثن[54] دل عليه الكلام بعده {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ}[55]. والحذف في غير القرآن منه الحسن، ومنه القبيح؛ وإنّما يكون قبيحاً إذا أدّى إلى فساد المعنى. كقول الشاعر:

لا يرمضون إذا جرّت مشافرهم ولا ترى مثلهم في الطّعن ميّالا

ويفشلون إذا نـادى ربيئهـــم ألا اركبنّ فقد آنسـت أبطالا

أراد الشاعر: ولا يفشلون فحذف "لا" فأصبح المعنى عنده قبيحاً فاسداً.[56] والإيجاز بالحذف فيه غموض؛ لأن القارئ يحتاج إلى معرفة مواطن الحذف، وتقدير الكلام المحذوف.[57] ويفهم كلام الرماني أن تقدير الكلام المحذوف يحتاج إلى قارئ حاذق؛ لمعرفة ما حذف وهذا يصعب على البعض فليس كل القراء سواء، وربما قدّر أحدهم تقديرا خاطئ فيحل المعنى.

وأما **النوع الثاني** من أنواع الإيجاز عند الرّمانيّ هو إيجاز **القصر**، وهو: ما كان معناه زائداً على لفظه من دون حذف. أي: كلامٌ قليلٌ لفظه كثيرٌ معناه. وهو أشد غموضاً وخفاءً من الحذف، فإن كان الإيجاز بالحذف بحاجة إلى تقدير كلامٍ وحروفٍ، فالإيجاز بالقصر يحتاج إلى تقدير معانٍ، وطول تفكيرٍ ودقة تأملٍ، وهذا النوع كثير في القرآن الكريم.[58] ومنه قوله تعالى {يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ}[59] أي: يحسب المنافقون أن كل صوت يسمعونه واقع عليهم لجبنهم وما في قلوبهم من خوف وهلع فإذا نادى مناد أو هربت دابة ظنوا أن شيئا سيقع عليهم[60]. ومن شواهد الرّمانيّ أيضاً قوله تعالى " إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ " أي: أن البغي الذي يصدر عنكم سيقع على أناس أمثالكم وجنسهم منكم[61].

وهذا الآيات وغيرها ذكرها الرّمانيّ في رسالته وقد اقتصر على توضح واحدة منها فقط –ربما لذات السبب الذي مرَّ ذكره كون رسالته جوابَ سائلٍ فأرادها مختصرة– وهذه الآية هي قوله تعالى {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ}[62] حيثُ عقد الرّمانيّ موازنةً بينها وبين كلمة استخدمتها العرب، واستحسنت معنها. وهي "القتل أنفى للقتل" وهي عبارة بليغة حسنة لكن مع فارق كبيرٍ بينهما. وكانت موازنة الرّمانيّ من أربعة أوجه: **فالأوّل** الآيةُ أكثر **فائدة** ومن المعلوم أنّ قيمة الكلام هو ما يحمله من فائدة، والآية تضمنت على فوائد عظيمة ومسائل جليلة، وكل ما في القول يوجد في الآية مع زيادة في المعنى عليه؛ لما تضمنته من إثارة الخوف، والرهبة من الله عز وجل، وذكر القصاص الذي يدل على العدل، والحياة التي هي الهدف من القصاص؛ فالقاتل إذا علم أنه سيُقتص منه لم يقدم على القتل. أم " القتل أنفى للقتل " فلا يترتب عليه زجرٌ للقاتل بل ثاراتٌ من قبلته وهذا ما يَجُرُّ حرباً لا نهاية لها كما حصل قبل الإسلام.[63]

و**الثاني** الآية أكثر **إيجازاً** من القول، فهي عشَرة أحرف وهو أربعة عشَر حرفاً، والآية كلمتان والقول ثلاث، فهي أوجز منه، ومن المعلوم أن الإيجاز هو الركن الركين في البلاغة بل بقي فترة من الزمن يستخدم كمرادف للبلاغة –كما تقدم–. **والثالث** أن القول فيه **تكرار** ومن المعلم أنّ التّكرار فيه مشقة على النّفس، وكلفة على لسان المتكلم الأمر الذي يجعل الكلام مقصراً عن إدراك أعلى طبقة من البلاغة، بخلاف الآية الّتي خلت من التكرار.[64] والرابع وهو **حُسْن التأليف** في حروف الآية وكلمتاها، فهو موجود في اللفظ، ويدركه الحس والذوق السليم بخلاف القول، وقد وصفه الرّمانيّ بقوله" فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعد الهمزة من اللام، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام"[65].

---

[52] أبو هلال العسكري، الصناعتين،182.
[53] سورة ق،1/50.
[54] الفراء، *معاني القرآن*،75/3.
[55] سورة ق،1/50.
[56] أبو هلال العسكري، الصناعتين،189.
[57] الرماني، *إعجاز القرآن*،77.
[58] الرماني، *إعجاز القرآن*،76–77.
[59] المنافقون،4/63.
[60] الزمخشري، *الكشاف*،540/4.
[61] الزمخشري، *الكشاف*،339/2.
[62] البقرة،179/2.
[63] الرماني، *إعجاز القرآن*،78؛ الزمخشري، الكشاف،223/1.
[64] الرماني، *إعجاز القرآن*،78.
[65] الرماني، *إعجاز القرآن*،78.

فالرّمانيّ هنا أراد الإشارة إلى تأليف الحروف بعضها مع بعض من خلال التّقارب بين مخارجها، فذهب إلى أن مخارج الحروف في الآية أكثر تأليفاً من العبارة؛ ففي كلمة "القتل" القاف حرف استعلاء توسط حرفي استفالة. أمّا كلمة القصاص فالقاف والصاد حرفي استعلاء والألف له حكم ما قبله فتكون مجمل الكلمة مفخمة بخلاف القتل التي تنقلت بين الاستعلاء والاستفالة. وكذلك بين الكلمات في الآية يوجد تناسق بين مخارج كلماتها بخلاف القول. ويمكن استنباط قاعدة من كلام الرّمانيّ وهي متى ما تقارب مخارج حروف الكلام كان أفضل من غيره؛ لأن النفس تألف السهولة والتناسق في الكلام، وتنفر عما سوى ذلك.

وقد تركت المفاضلة عند الرّمانيّ بين آية القصاص والقول العربي أثراً في تصنيفات المتأخرين، بين منكرٍ لها؛ إذ لا موازنةً بين كلام الخالق والمخلوق، وهذا ما ذهب إليه ابن الأثير، بينما توسع غيره في الموازنة متابعاً للرّمانيّ حتّى أوصلها السّيوطي إلى عشرين فرقاً [66]، واكتفى أبو هلال العسكري بنقل كلام الرّمانيّ بحرفيّته في هذه الموازنة من غير تعقيب منه عليها؛ الأمر الذي يظهر مدى تأثره بالرّمانيّ في هذا الموضوع[67].

مصطلحات ملازمة للإيجاز ذكرها الرماني

قد تبين ما هو الإيجاز، وكيف يكون، وما هي أقسامه وشروطه، لكن إذا اختلّ شرطٌ من شروطه لا يبقى إيجاز بل ينقل إلى مصطلحات أخرى؛ وهذه المصطلحات هي التقصير، والإطناب، والإسهاب؛ وقد تكلّم عنها الرّمانيّ في رسالته وذكر الفروق بينها وبين الإيجاز ويمكن أنْ يُجمل ما قال:

أ– الإيجاز والتقصير فرّق الرّمانيّ بين الإيجاز و**التقصير** في الكلام، فتوصل إلى أن الإيجاز بلاغة لا إخلال في الكلام معه، بينما التقصير نقص الكلام عن تمام المعنى، فهو عِيٌّ، وعجزٌ يرافقه الإخلال بالمعنى الذي أراده المتكلم[68]. إذ مبنى الكلام العربي على الفائدة كم هو مقرر عند أهل النحو، فكلّهم متفقون في تعريف الكلام على وجوب وجود الفائدة؛ فإذا لم يؤدِّ الكلام الفائدة المرجوّة فهو مخالف لما عليه أهل البلاغة والفصاحة.

ب–الإيجاز الإطناب " الإطناب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة "[69]، والإطناب إنما يكون في موضع يستلزم التفصيل، وزيادة البيان لدى السامع؛ إذ إنّ المتكلم قد يلجأ إلى شيء من التّقسيم والتّفصيل في الكلام بحسب الحاجة، وهذا نوع حسن وقد يكون أولى من الإيجاز في بعض المواضع على قدر حاجة السامع، وهو بخلاف التّطويل الّذي يتكلّف له المتكلم بكثير من الألفاظ لكنّه يعبر عن معانٍ قليلةٍ[70]. والإيجاز والإطناب يحتاج كل واحد منهما إلى الآخر، فقد يصلح الإيجاز في موضع لكن في موضع آخر لا يصلح فيحتاج إلى الإطناب. كما رُوي عن الأمير يحيى البَرمكي أنّه أمر كاتبين له أن يكتبا كتاباً في معنى واحد، فأطال أحدهما، واختصر الآخر؛ فقال للمختصر: " ما أرى موضع مزيد. وقال لمن أطال: ما أرى موضع نقصان "[71]. وقد شبه الرّمانيّ الإطناب برجل قصد وجهة ولها إليها طريقان واحد يصل به بسرعة، والثاني بعيد ولكن فيه من النزهة، وحسن المنظر ما يكسب فيه أشياء أخرى فضلا لبلوغ غايته؛ فالغرض حاص بالاثنين[72].

ج – الإيجاز والتّطويل

عرف الرّمانيّ التّطويل بقوله " تكلف الكثير فيما يكفي منه القليل " [73] وقد يسمى بالإسهاب وهو عيّ في الكلام وعيب في المتكلم، وقد شبهه الرّمانيّ بقوله "كالسّالك طريقاً بعيداً جهلاً منه بالطريق القريب"[74]، وهو مذموم عند المتقدمين فقد روي أن بعض جلساء ابن عمر طلبوا منه أن يدعو لهم بدعوة فقال: " اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا فقالوا: لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن قال: نعوذ بالله من الإسهاب "[75]وبهذا يكون الرّمانيّ قد قسّم الكلام من حيث الإيجاز وعدمه إلى أربعة أقسام: اثنان بليغان: وهما الإيجاز والإطناب، ولك وحد منهما مكانه في الكلام بحسب حاجة السامع، واثنان غير بليغين وفيهما عيٌّ وهما: التقصير والتطويل، وهذا الأخير هو الذي يسمى الإسهاب.

طُرُق الإيجاز عند الرّمانيّ قسم الرّمانيّ مسالك الإيجاز عند المتكلم إلى طريقين:

---

[66] عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي (ت: 911هـ)، *معترك الأقران في إعجاز القرآن*، (بيروت: دار الكتب العلمية 1408 هـ)،227/1.

[67] أبو هلال العسكري، *الصناعتين*، 175.

[68] الرماني، *إعجاز القرآن*،78.

[69] عبد العزيز عتيق (ت: 1396 هـ)، *علم المعاني*، (بيروت –دار النهضة العربية للطباعة والنشر 1430 هـ)،188.

[70] الرماني، *إعجاز القرآن*،78.

[71] العسكري، الصناعتين،190.

[72] الرماني، *إعجاز القرآن*،79.

[73] الرماني، *إعجاز القرآن*،79.

[74] الرماني، *إعجاز القرآن*،79.

[75] الجاحظ، البيان والتبين،171/1.

الأول: هو بيان **النّكتة** بعد الشّرح والفهم، فبعد الشّرح والتّوضيح يعمد المتكلم إلى جملة يختصر فيها كلامه السابق، فتعلق هذه الجملة بذهن السامع فيرجع إليها بسهولة ليستذكر دلالة الكلام منها، وهذا الطريق لا يكون إلاّ بعد التوضيح والبيان؛ فهو أشبه بالملخص، وغالبا يكون في العلوم القياسيّة[76]. والملخص يجتمع مع الإيجاز في كثرة الفائدة وقلة الكلام، ويفترق عنه بكونه لكلام سابق ذكر قبله ولها علاقة وثيقة به، أما الإيجاز فهو كلام مستقل بذاته ولا تعلق له بغيره.

والثاني: استحضار المعنى الكثير بحروف قليلة، وهذا يكون ابتداءً في الكلام من غير أن يسبقه كلام قبله، ولعل هذا المسلك هو الذي يتعلق بعلم البلاغة، ويهتم به البلغاء بخلاف الأوّل الذي هو أكثر قرباً من مناهج التّدريس في العلوم المختلفة. والفرق بين الطريقين: أن الطريق الأول يعتمد على كلام سابق –كما ذكر آنفا–، أما الثاني يكون مستأنفاً في الكلام[77].

أوجه الإيجاز عند الرّمانيّ قبل أن ينهي الرّمانيّ كلامه على الإيجاز ذكر أوجهه وقسّمها ثلاثة:

الأول " **سلوك الطريق الأقرب دون الأبعد** " وهو ما كان طريقه أقرب من غيره، فلو قال قائل لرجل: " تحرك حركة سريعة " وقال الآخر: " أسرعْ " فقول الثّاني إيجاز بخلاف الأول، وكلاهما يعطي نفس الفائدة [78]. الثاني" **اعتماد الغرض دون ما تشّعب** " بحيث يبدأ المتكلم الحديث مباشرة عن غرضه من غير تفريعات إضافية، فمن المعروف أنَّ نمط القصيدة العربي كان يبدأ بالوقوف على الأطلال، والتّشبب، ووصف البادية وما فيها من حيوانات، ثم يتكلم الشّاعر عن غرضه وهذا ينافي الإيجاز، فلو قصد المتكلم غرضه مباشرة لكان إيجازا[79]. **والثّالث** أن يظهر المتكلم الفائدة بما هو **مستحسن** بعيداً عن القبيح وما لا يليق لدى السّامع لأن النّفس تميل إلى الحسن وترغب فيه وتنفر من القبيح وتبتعد عنه.[80]ويمكن التعقيب على الرماني بأن هذه الأوجه الثلاثة قد يحتاج إليها المتكلم والسامع على حسب حالهما، فمن يخاطب محذرا ليس كما يخاطب مرغبا، وكذلك من يخاطب الخاصة الذين يفهمون إشارة القول لا كمن يخاطب عامة يحتاجون إلى الزيادة في البيان؛ وبحسب غرض المتكلم فالشاكر يوجز، والمادح يطنب، وهكذا فلكل مقام مقال.

مكانة الإيجاز عند الرّمانيّ

للإيجاز مكانة وفضّل في الكلام، لا يدركها إلا مَن كان عنده ذوق سليم، وحِسٌّ مرهف، فهو يربو على غيره من الكلام، وأنواع البيان، وقد ذكر الرّمانيّ في رسالته بعضاً من هذه الفضائل. فقال: "الإيجاز تهذيب الكلام بما يحسن به البيان، والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر، وتخليصها من الدرن، والإيجاز البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ، والإيجاز إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير"[81]. فالإيجاز عند الرّمانيّ تهذيب الكلام مع بيانه وفصاحته، والابتعاد عن التعقيد اللفظيّ والمعنويّ، فهما تُثقل على نفس السامع، وحملٌ زائدٌ على لسان المتكلم؛ فيكون بهما الكلام كالماء الكدر الذي تعافه النّفس مع كونها عطشى له. ويؤكد الرّمانيّ على فكرة جوهرية في الإيجاز وهي قلة اللفظ وكثرة المعنى، فمتى كان الكلام قليل الحروف، كثير القطوف فهو إيجاز، وخلافه عِيٌّ، وقصور في لسان المتكلم. وبهذا يكون الرّمانيّ قد صوّر الإيجاز، وأحكم حدوده، ومصطلحاته، وتقسيماته، بحيث لم يضف إليه المتأخرون شيئاً ذا قيمة علمية[82].

أثر الإيجاز في الإعجاز عند الرّمانيّ

من المعلوم أنّ الرّمانيّ كتب رسالته " النُّكت في إعجاز القرآن " لإظهار ما في القرآن من أوجه الإعجاز ليرد على الطاعنين فيه؛ من ملاحدة، وفلاسفة ومشككين، فلم يكن غرضه تأليف كتابٍ في البلاغة، أو إثارة مسائل بحدّ ذاتها، ومع كون البلاغة في القرآن هي أحد أوجه الإعجاز التي أعجزت كفّار العرب من المجيء بمثلها، وهم أهل الفصاحة والبيان، فقد استرسل الرّمانيّ في الكلام عنها، ومن بين مسائلها الإيجاز، فبعد أن عرفه وقسمه، وذكر شواهد على ذلك، وناقش القول العربي "القتل أنفى للقتل" وعقد مقارنة بينه وبين آية القصاص وذكر ما فيها من وجوه تعلو على هذا القول ثم ذكر العلاقة بين الإيجاز والإعجاز، ومتى يكون الكلام معجزاً. وقرّر أن **الإعجاز** يكون باجتماع أمور يعضد بعضها بعضا حتى يظهر للنفس أن الكلام في درجة عالية من البلاغة؛ يصعب عليها أن تدركه، مع ما فيه من رونق وجمال، ويشغل الإيجاز مكانا بارزا في جعل الكلام معجزا[83]. ثم ذكر كلام ينسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو: " قيمة كل امرئ ما يحسن "، وعلق عليه بقوله "هذا كلام عجيب يغني ظهور حسنه عن

---

[76] الرماني، *إعجاز القرآن*، 79.
[77] الرماني، *إعجاز القرآن*، 79.
[78] الرماني، *إعجاز القرآن*، 79.
[79] الرماني، *إعجاز القرآن*، 80.
[80] الرماني، *إعجاز القرآن*، 79.
[81] الرماني، *إعجاز القرآن*، 80.
[82] شوقي ضيف، البلاغة تاريخ وتطور، 104.
[83] لرماني، *إعجاز القرآن*، 78.

وصفه، فمثل هذه الشّذرات لا يظهر بها حكم، فإذا انتظم الكلام حتّى يكون كأقصر سورة أو أطول آية ظهر حكم الإعجاز، كما وقع التّحدّي في قوله تعالى: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} فبان الإعجاز عن ظهور مقدار السّورة من القرآن "[84].

فبهذا القول حرّر الرّمانيّ العلاقة بين الإيجاز والإعجاز، وأن ليس كلّ إيجاز من الضرورة أن يكون إعجازاً بل يكون عندما تجتمع فيه أمور يعضد بعضها بعضاً، وتكون تاركةً أثراً في نفس السامع، فالكلام إنْ كان قليل الألفاظ، كثير المعنى، ذو سبكٍ وعذوبة في الألفاظ، وتلائم في الحروف، مع ما فيه من رونق وجمال في المعنى، يصل إلى أعلى درجات البلاغة، لكن هذا لا يكفي كي يكون معجزاً بل لا بدَّ أنْ يتحقق فيه شرط آخر ليدخل في مضمار الإعجاز.

وهذا الشرط ذكره القرآن الكريم في معرض تحديه للعرب الأقحاح الذي ما برحوا يُشككون في القرآن الكريم بألسنتهم، ويقولون هو من عند النّبي –صلى الله عليه وسلم– مع أنّ قلوبهم تخالف كلامهم، كما تقدم في قول الوليد ابن المغيرة وهو من هو في الفصاحة والبيان، لكن غرّه كِبْرُهُ عن قول الحقّ. وهذا **الشرط** هو أن ينتظم كلام المتكلم حتّى يبلغ أقصر سورة من القرآن الكريم أو أطول آية منه، وذلك أنّ الله تحدّى في بادئ الأمر العرب أن يأتوا بعشْر سورٍ، حيث قال: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[85]، ولما عَجِز أهل الفصاحة والبيان عن هذا التحدي أنزل الله عز وجل تحدياً آخر عليهم ليُكبتهم، ويفضح عجزهم. فقال: لهم {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[86]، لكنهم عجزوا عن الإتيان بسورة من مثله. وبهذا يكون الشرط الثاني الذي شرطه الرّمانيّ في إعجاز الإيجاز هو أن يكون الكلام قدْر أقصر سورة، أو أطول آية، لأنّ أطول آية نظمها أكثر من نظم أقصر سورة، وعليه ليس كل إيجاز من الضّروري أن يكون إعجازاً مع ما فيه من حسن العبارة وعذوبة المعنى.

تأثر العلماء بمفهوم الإيجاز عند الرّمانيّ

لمفهوم الإيجاز عند الرّمانيّ تأثيرٌ واضحٌ على العلماء بعده، ويظهر هذا جليّاً في مصنفاتهم؛ رغم أنّ بعضهم يخالفه في العقيدة، فمن المعرف أن الصّرفة التي هي أحد أوجه الإعجاز عند الرماني قولٌ معتزلي أحدثه النّظام[87] ، وتابعه عليه بعض المعتزلة، ومنهم الرّماني وقوله بالصّرفة لم يمنع مخالفيه بالاستفادة من جهوده الأخرى. فالباقلانيّ الأشعريّ نقل كلام الرّمانيّ وتقسيمه، وشواهده حرفياً من غير الإشارة إليه. فقال: "ذكر بعض أهل الأدب والكلام أن البلاغة على عشرة أقسام"[88]، ثم شرع بذكرها كما أوردها الرّمانيّ، ومثلَ الباقلانيّ فعل أبو هلال العسكريّ حيث نقل في كتابه "الصّناعتين" عن الرّمانيّ كلاماً طويلاً[89]، وكذلك فعل أبو منصور الثعالبيّ (429هـ) في كتابه " الإعجاز والإيجاز "[90] وأيضاً ابن رشيق القيروانيّ (463هـ) نقل كلاماً منسوباً إلى الرّمانيّ[91]. وعبد القاهر الجرجاني نقل كلاما من نكت الرماني[92]، وكثرة غفيرة من العلماء والأدباء، مما يظهر أنّ الرّمانيّ حاز قصب السّبق في هذا المضمار، ومقدار الفضل والتحقيق اللذان ورّثهما لمن بعده، من خلال رسالته الصغيرة، ولعلّ فيها إشارة خفية مع أنها رسالة موجزة لكنّها تضمنت الكثير من الأسس التي ينبني عليها كلام كثير.

نتائج البحث

يظهر من البحث أنّ البلاغة العربية مرتبطة بوجود لغتها منذ القديم، ولا زالت تنمو وتستحسنها العرب في كلامها حتّى بلغتْ أعلى درجة لها قُبيل نزول القرآن الكريم، وبعد نزوله تأثّر به العرب أيّما تأثر؛ لما له من أسلوب بيانيّ لم تعهده في كلامها، وهم أهل اللسن، والفصاحة والبلاغة، لكن أعياهم القرآن أن يأتوا بسورة من مثله.

اجتهد علماء البيان لكشف إعجاز القرآن، فشرعوا بتصنيف الكتب، والرسائل التي كان مدارها على سر إعجاز، وكان من البارزين في هذا الشأن الرّمانيّ من خلال رسالته "النكت في إعجاز القرآن"، الّتي أودع فيها الكثير من الأمور المتعلقة بإعجاز القرآن الكريم، وتوصل إلى أن سرّ إعجازه سبعة أوجه، وأحدها البلاغة التي أخذت الحيّز الأكبر من رسالته واهتمّ بتقسيماتها، وتعريفاتها، ومصطلحاتها.

---

[84] لرماني، *إعجاز القرآن*،78.

[85] سورة، هود،13/11.

[86] سورة البقرة،23/2.

[87] هذا رأي إبراهيم النظام صاحب المذهب الذي ينسب إليه "مذهب الصّرفة" إذ قال: "إن القرآن ليس معجزا بفصاحته وبلاغته، وإن العرب كانوا قادرين على أن يأتوا بمثله، لكن الله صرفهم عن ذلك تصديقا لنبيه، وتأييدا لرسوله حتى يؤدي رسالات ربه" مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص5.

[88] أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت: 403هـ)، *إعجاز القرآن للباقلاني*، تحق. السيد أحمد صقر، ط5، (مصر: دار المعارف،1997)،262.

[89] أبو هلال العسكري، *الصناعتين*،175.

[90] أبو منصور الثعالبي، *الإعجاز والإيجاز*، 18.

[91] الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 463 هـ)، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*، تحق. محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: دار الجيل،1401هـ)، 250/1.

[92] عبد القاهر الجرجاني، *دلائل الإعجاز*، تحق. محمود شاكر، ط5، (القاهرة: مكتبة الخانجي،2004م)،434.

مصطلح الإيجاز تطور مع الزمن فكان عند الأوائل يرد به عموم البلاغة لكنه استقر فيما بعد على ما هو عليه اليوم، ويعود الفضل في استقرار هذا المصطلح إلى الرماني؛ الذي عرّفه تعريفا دقيقا، ثم قسّمه قسمين: إيجاز حذف، وإيجاز قصر، وتوصل إلى أن الإيجاز أفضل من التطويل لكن ليس دائما؛ بل يرجع لمقتضى الكلام ويراعى فيه حال السامع، وإذا فقد الإيجاز شرط من شروطه خرج إلى مصطلحات أخرى هي الإطناب، والإسهاب، والتقصير، فاستطاع الرماني بجهوده أن يحرر المصطلحات المتعلقة بالإيجاز ويضع لها تعاريف دقيقة، وعضد ذلك بالشواهد من السماع، كما ليس الإيجاز غاية بحدّ ذاته، بل لا بدّ أن يراعي المتكلم حالة السامع، ومستواه الفكري فالغاية هي الإفهام.

قرّر الرّمانيّ أن ليس كلُّ إيجاز إعجازاً، بل اشترط فيه أنْ يكون بطول أقصر سورة، أو كأطول آية من القرآن. وبذا ترك الرّمانيّ أثراً كبيراً لدى العلماء بعده، وهذا ما تظهره الدراسات في كتب الإعجاز والبيان.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن رشيق القيرواني الحسن بن رشق الأزدي، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*، تحق. محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: دار الجيل،1401هـ.

ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري، *أدب الكاتب*، تحق. محمد الدالي، بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن قتيبة، *تأويل مشكل القرآن* تحق. إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قتيبة، *عيون الأخبار*، دار الكتب العلمية –بيروت 1418 هـ.

ابن منظور محمد بن مكرم، *لسان العرب*، الطبعة الثالثة، بيروت: دار–صادر،1414هـ.

الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، *إعجاز القرآن للباقلاني*، تحق. السيد أحمد صقر، الطبعة الخامسة، مصر: دار المعارف،1997م.

البيهقي أحمد بن الحسين، *الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث*، تحق. أحمد عصام الكاتب، بيروت: دار– الآفاق الجديدة، 1401هـ.

الجاحظ عمرو بن بحر، *البيان والتبيين*، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1423هـ.

الجاحظ، *الحيوان*، بيروت: دار–الكتب العلمية،1424هـ،62/1.

الجرجاني عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تحق. محمود شاكر، ط5، (القاهرة: مكتبة الخانجي،2004م)،

الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد، *المستدرك على الصحيحين*، تحق. مصطفى عطا، بيروت: دار الكتب العلمية،1411هـ.

الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان، *سير أعلام النبلاء*، تحق. مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، بيروت: مؤسسة– الرسالة، 1405 هـ.

الرّمانيّ علي بن عيسى، *النكت في إعجاز القرآن*، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحق. محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، الطبعة الثالثة، مصر: دار المعارف،1976.

الرافعي مصطفى صادق، *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*، الطبعة الثامنة، بيروت: دار الكتاب العربي 1425 هـ - 2005 م .

الزجاج إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تحق. عبد الجليل عبده شلبي، بيروت: عالم الكتب ،1408هـ.

الزمخشري محمود بن عمرو بن أحمد، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، الطبعة الثالثة، بيروت دار الكتاب العربي،1407 هـ.

السمين الحلبي أحمد بن يوسف، *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*، تحق. أحمد الخراط، دمشق: دار–القلم.

السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، *معترك الأقران في إعجاز القرآن*، بيروت: دار الكتب العلمية،1408هـ .

الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، *معاني القرآن*، تحق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، مصر: دار– المصرية للتأليف والترجمة.

امْرُؤُ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، *ديوان امرئ القيس*، تحق. عبد الرحمن المصطاوي، الطبعة الثانية، بيروت: دار المعرفة، 1425هـ.

أبو منصور الثعالبي عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، *الإعجاز والإيجاز*، القاهرة، مكتبة القرآن.

أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية، تحق. محمد إبراهيم سليم، القاهرة: دار العلم والثقافة.

شوقي ضيف أحمد شوقي عبد السلام، *البلاغة تطور وتاريخ*، الطبعة الثاني عشر، القاهرة: دار–المعارف.

تاريخ الأدب العربي، مصر: دار المعارف،1960–1995م

عبد العزيز **عتيق**، *علم المعاني*، بيروت – دار النهضة العربية، 1430 هـ.

KAYNAKÇA

*Al-Ḳurān Al-Karī*m

İbn Reşîḳ, Ebû Alî el-Hasen. *el-ʿUmde fi sınaati'ş-Şi'r ve adabîhi*, Tak. Mohammed mûhî el-dîn abdül'l-hamîd, Beyrut: Darü'l-jîl, 1401/1981.

İBN KUTEYBE, Ebû Muḥammed Abdullāh b. Müslim b. Kuteybe ed-Dîneverî, *Edebü'l-kâtib*, Tah: moḥammed el-dâlî, Beyrut: müasasatü'l-risale.

Teʾvîlü *müşkili'l-Ḳurʾân*, Tah: ibrâhim şems-l'dîn, , Beyrut: Dâru'l-Kütübi'l- İlmiyye.

Uyûnü'l-aḫbâr, Beyrut: Dâru'l-Kütübi'l- İlmiyye, 1418.

İbn Mânzûr, Ebü'l-Fazl Cemâlüddîn Muḥammed b. Mükerrem b. Alî b. Ahmed el-Ensârî er-Rüveyfiî, *Lisânu'l-Arab*, Beyrut: Dâru Sâdır, 1414/1993.

El-BÂKILLÂNÎ, Ebû Bekr Muḥammed b. Tayyib b. Muhammed el-Basrî el-Bâkıllânî, *İʿcâzü'l-Ḳurʾân*, Tah: Aḥmed sakâr, B.5, Mısır: darü'l-marifetî, 1997.

El-Beyhakī, Ebû Bekr Ahmed b. el-Hüseyn b. Alî, *el-İʿtiḳād ve'l-hidâye ilâ sebîli'r-reşâd*, Tah. Ahmed İsâm, Beyrut, Dâru'l-Âfâk El-jâdîde, 1401.

El-Câhiz, Ebu Osman Amr bin Bahr el-Kin ani el-Fu kaimi el-Basri, *el -Bayan ve el-Tabiyyin*, Beyrut: Dâru ve Mektebetu'l-hilâl, 1423/2002.

EL-hayvân, Beyrut: Dâru'l-Kütübi'l- İlmiyye, 1423.

El-ZEHEBÎ, Ebû Abdillâh Şemsüddîn Muḥammed b. Ahmed b. Osmân, *sîyer 'âelâm 'l Nubal*â, Tah: birkaç mûhakik tarafından(şûyab El-nâûti kontrollüğünde), B.3, Beyrut: müasasatü'l-risale, 1405.

El-Rûmanî, Ali b.Îsâ, *El-nûkâtû fî îcâzî el-kurân*, Tah: moḥammed hâlef'l-llahi, moḥammed zâglûl selam, B.3, mısır: Dâru'l-maarifî, 1976.

Râfiî, Mustafa Sâdık. *İʿcâzü'l-Ḳurʾân*. Beyrut: Dâru'l-Kîtabi'l- Arabî. B.8, 2005-1425.

El-Zâccac, İbrâhim b. El-serî b.sehl, Meânî el-kurân ve irâbhî, Tah: Abdul'l-jâlil şelabî, Darû'l-kûtûbî, 1408.

El-Zamaḫşari Abū al-Ḳāsim Maḥmoūd b. Ȧmrū. *Al-kashāf ean haqayiq ghawamid al-tanzil, altabeat althaalithati*, Beyrut: Dâru'l-Kîtabi'l- Arabî,1407.

El-Samīn al-Ḥalabī, Aḥmad b. yūsif, al-*Dur al-masvūn fi ćulūm al-kitāb al-maknūn*, ed.Aḥmad muḥammad al-Ḫarāt,11 Volumes. Dımaşk: Dâru'l-kâlem.

El-Suyūṭī Abd al-Raḫḥmān b. ābī bakr, *Muetarak al'aqran fi 'iiejaz alqurani*, bayrut: Beyrut: Dâru'l-Kütübi'l- İlmiyye,1408.

El-Ferrā Yaḥyā b. Ziyād b. Ábdullāh, *Meánī El-Ḳurân*, ed. Aḥmed Yūssif al-Najāti, Muḥammad Ali al-Najjār, Ábdel-Fattaḥ Ismáīl, 3Volumes,1 Edition, Mısır: Dâru'l-mısrıye.

İmruülkays b. Hucr, *Dîvân*, nşr. Abdulrahman el-mustallûî, Tah: Abdulrahmân, B.2, Beyrut: darü'l-marifetî, 2004,1425.

SEÂLİBÎ, Ebû Mansûr Abdülmelik b. Muḥammed b. İsmâîl es-Seâlibî, *el-Îcâz ve'l-iʿcâz*, kahire: mektâbatû'l-kûran.

Ebû hilâl el- askerî, El-hâsan b. Abdullah, *el-fûrûk el-lûgaviye*, Tah: moḥammed ibrâhim selîm, kahire: Dâru'l-ilmî ve el-sâkâftî.

Şâvkî Dayîf Ahmed Şâvkî Abdû'l-selâm , *El-belâğatû* (Tâtûr ve Târih), B.12, kahire: Darû'l-mâârif.

Atîk, Abdu'l- 'Azîz, '*İlmu'l-mânî*, Beyrut: Dâru'n-Nahda